المسبِّبة لحدوث النص، وهو يتحدَّدُ على الشكل التالي: لماذا[184].

إن دراسة روايات بروست (Proust) مثلاً تقضي - وفق المنطلقات المنهجية التي حددها «زيما» - بالتساؤل أولاً عن الوضعية «السوسيولسانية» في عصره وقبل عصره بقليل، وثانياً: ما هو الدور الذي كانت تلعبه النقاشاتُ في مجتمع الصالونات باعتبارها «سوسيولهجة» معينة كان يحتك بها «بروست» نفسه. وثالثاً: التساؤل عن طبيعة احتواء روايته: «بحثاً عن الزمن الضائع» خاصة، لنقاشات الصالونات، والتحولات التي خضعت لها هذه النقاشات، وذلك عن طريق أشكال السُّخْرِ، والمعارضات[185].

وهذا التساؤل الأخير هو الذي سيجعل من الضروري تحديد موقف الكتابة الروائية عند «بروست» من تلك النقاشات نفسها. و«بيير زيما» سيكون هنا مضطراً للأخذ بفكرة «البنية الدالة» عند «غولدمان» أو البنية العميقة عند «غريماس» على الرغم من أنه انتقد هذين المفهومين معاً[186]. وهو يحاول أن يتجاوز هذه المفارقة بمرونة عندما يعتبر أن التحليل الذي سيقدمه، سواءً بالنسبة للوضعية السوسيولسانية لعصر «بروست» أو بالنسبة لدلالة عمل «بروست» نفسه بالنسبة لهذه الوضعية، ليس سوى واحد من التحليلات الممكنة؛ بحيث أن تحليلاً آخر معتمداً على معطيات أخرى قد يصل إلى نتائج وتفسيرات مختلفة[187].

«إن تحديد الوضعية السوسيولسانية في عصر الجمهورية الثالثة كما نقدمها هنا ليس سوى تحديد ممكنٍ، أو هو شكل من أشكال الحديث عن «حقيقة ما» عن مجموعة من المراجع (Référents) يمكن لخطابٍ آخر مبرَّرٍ بواسطة نسقٍ من القيم المغايرة أن يشكلها بطريقة مخالفة، وفي الوقت نفسه فإن النَّصَّ البروستي سيحصل على معنىً خاصٍّ في إطار هذا التحديد الصادر عن اختيارات دلالية إديولوجية، وعن بناء تركيبي (سردي) خاص. وهذا يعني أن التأويل الاجتماعي لرواية «بحثاً عن الزمن الضائع» متعلق بالوجوه المتعددة للبنية الاستدلالية التي نُحاوِلُ بواسطتها أن نفهم هذه المجموعة من المراجع المشار إليها بواسطة الكلمات التالية: «الوضعية السوسيو-لسانية في عصر الجمهورية الثالثة» أو بمعنى بسيط: «الحقيقة التاريخية»»[188].

وعندما يدرس «بيير زيما» الوضعية السوسيولسانية يجد أن عصر «بروست» شهد ميلاد

---

(184) Ibid., P. 51.

(185) Ibid., P. 52.

(186) Ibid., P. 35 et 40.

(187) نتساءل هنا عن أهمية البحث في الميدان الأدبي، وعن درجة علميته. والجدير بالذكر أن «بيير زيما» حاول مع ذلك أن يجعل الدراسة الأدبية دراسة علمية؟. انظر الانتقادات التي وجهها لغولدمان خاصة باسم ضرورة ضبط الدلالة:

Pour sociologie du texte littéraire, 10/18. P. 12.

(188) P. Zima. **L'ambivalence romanesque.** P.72.